مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

# منهج الإمام الباقلاني في تفسير آيات الصّفات من خلال كتابه الإنصاف

**The methodology of Imam Albakillani in interpreting verses attributes through the book of equity**

**لعوطي محمد الأمين[1*]، حدّاد لخضر[2]،**

[1] كلية العلوم الإسلامية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر 01 ، (الجزائر)،
m.laouti@univ-alger.dz

[2] كلية العلوم الإسلامية، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر 01 ،(الجزائر)،
lakhdar.dz@gmail.com

| | | |
|---|---|---|
| تاريخ ارسال المقال: 2023/03/01 | تاريخ القبول: 2023/05/01 | تاريخ النشر : 2023/06/01 |

**[*] المؤلف المرسل**

**الملخص:**

يعتبر الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ من العلماء الذين برزوا وأسَّسوا لعدة علوم شرعية، ومن أبرز تلك العلوم التي كان لإمامنا جهود في خدمتها، عِلما الكلام والتفسير، فقد كان من كبار أتباع إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري والمنظِّرين لمذهبه إضافة إلى قرب عهده به، ومن جهة أخرى، فإن الإمام الباقلاني وإن لم يصنِّف كتابا مستقلا في التفسير، إلا أنَّه إمام فيه وله اجتهادات تفرَّد بها، تستحق التَّتبّع والدراسة، ومن مصنفاته التي جمعت بين العلمين، كتاب "الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به"، وهو كتاب جمع فيه قضايا الاعتقاد على مذهب أهل السنة واستدل لها، ومن تلك المسائل بل أهمّها، صفات الله سبحانه وتعالى، لذلك حاولنا في هذا المقال تتبع تلك المواطن من هذا الكتاب، ودراسة منهج الإمام الباقلاني في تقرير تلك المباحث العقدية.

**الكلمات المفتاحية:** منهج ؛ الباقلاني ؛ التفسير ؛ الصفات ؛ الإنصاف.

**Abstract :**

Imam Al-Bakillani, may God have mercy on him, is one of the scholars who emerged and established several chariaa sciences, and one of the most prominent of those sciences that our Imam had served it, the science of monotheism and interpretation, he was one of the prime followers of the Imam of the Sunnis Abu Al-Hassan Al-Ash'ari and theorists of his doctrine in addition to the besides they were closest in the era, Imam Al-Baqlani, although he didn’t edit an independent book in interpretation, but he is an imam in it and has unique jurisprudence, worthy of tracking and study, and one of his works that combined Al-Alamein, the book of fairness in what must be believed and may not be ignored of it, a book in which the mothers of the issues of belief on the doctrine of the Sunnis and inferred them, and from those issues, the most important of which are the attributes of God Almighty, so we tried in this article to track those citizens of this book, and study the approach of Imam Al-Baqlani in the report of those doctrinal investigations.

**Keywords**: methodology ؛ Al-Bakillani ؛ interpretation ؛ attributes ; equity.

**مقدّمة:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الإمام أبا بكر محمد بن الطيب الباقلاني ـ رحمه الله ـ من العلماء الذين أفنوا حياتهم في نصرة الإسلام، والدفاع عن عقائده ومقدَّساته، ومن تلك العلوم التي برز فيها الإمام على أقرانه، ونال المقام الأسمى في تحرير مسائله، علم الكلام الذي يعد من أجل العلوم الشرعية.

وبالموازاة مع ذلك، فقد كان للإمام ـ رحمه الله ـ أثر طيّب في علم التّفسير، فإنّه وإن كان لم يترك مصنَّفا خاصًّا في هذا العلم الجليل، مع ما كان يُمَنِّي نفسه به من إملاء مصنف في ذلك، إلا أنَّه تعرَّض في أغلب مصنَّفاتِه لبيَان معاني كثير من آيات القرآن الكريم، حتى إنَّني لن أبالغ إن قُلت، أنَّه ما من سورة من سُوَر القرآن إلاّ وللإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ كلام في معانيها كلِّها أو بعضٍ من آيها[1].

ومن المعلوم لدى الباحثين، أن الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ كان على مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري ـ رضي الله عنه ـ في تقرير مسائل علم التوحيد، وكان من أعظم من نصر طريقته ونظَّر لها، وقعَّد قواعِدها وشرح عبارات إمامها، وهذا ما كان له أثر واضح في تفسيره لآيات الصِّفات، محكَمِها ومتشَابِهها على حدّ سواء، ولعلّ من أهم الكتب التي تعرَّض فيها لهذه المسائل، كتاب "الإنصاف في ما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به"، وهو كتاب نفيس، حرَّر فيه مسائل علم العقيدة بجميع محاورِها: ( الإلهيَّات والنُّبوَّات والغيبيَّات، والرد على الشُّبهَات ).

**أهمية البحث**: وتكمُن أهمية هذه الدراسة فيما يلي:

**أولا**: بيان عقائد أئمة الإسلام الكبار، باعتبار أن الإمام الباقلاني من أهم شخصيات علماء أهل السنة والجماعة بعد مؤسس المذهب الإمام أبي الحسن الأشعري ـ رحمهما الله ـ خاصة وأنَّنا رأينا وسمعنا في هذا العصر من يتجرأ على الطَّعن فيهم ورميِهم بالضَّلالة !، وخطورة ذلك المسلك ظاهرة لا تحتاج لبيان.

**ثانيا**: بيان المنهج العلمي المتين الذي بنى عليه أئمة الإسلام عقائدهم، وليس كما يحاول البعض تصويره، من أنه منهج عبثي ليس له أسس ولا قواعد.

**ثالثا**: بيان جانب من جهود الإمام الباقلاني في تفسير آيات القرآن الكريم، وهذه الآيات متعلقة بقسم الإلهيات من العقائد.

**أما إشكالية البحث** فتتلخص في السؤال الآتي: **ما هو منهج الإمام الباقلاني في تفسير آيات الصفات في هذا الكتاب ؟**

**خطة البحث**: انطلاقا من الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة، رسمت الخطة الآتية:

- **الإمام الباقلاني ومذهبه الاعتقادي.**
- **التفسير بالمنقول والمعقول.**
- **التفسير عن طريق الاستشهاد والاستنباط.**
- **التفسير عن طريق اعتماد أقوال العارفين من أهل التحقيق.**
- **التفسير بمنهج التأويل والتفويض.**
- **التفسير الجدلي.**

**الدراسات السابقة:** تناول كثير من الباحثين على اختلاف مذاهبهم العقدية، منهج الإمام الباقلاني في تقرير صفات الله تبارك وتعالى، من حيث مذهبُه فيها وطُرق استدلاله عليْها وغير ذلك، ولكنِّي لم أجد من تناولها من حيث منهجية تفسيره لآيات الصفات، فلا شك أن الصِّفات الإلهية المختلف فيها بين طوائف المسلمين ثابتة ـ من حيث الأصل ـ في كتاب الله تعالى، فمقصودنا في هذا البحث، هو بيان منهج الإمام الباقلاني في تفسيره لهذه النصوص القرآنية.

هذا ما سأحاول التفصيل فيه ـ إن شاء الله تعالى ـ في هذه الورقات، معتمِدا في ذلك على المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث قمت بجمع نماذج من تفسير الإمام الباقلاني لآيات الصفات، وتحليلها مبرزا سمات منهجه في ذلك، سائلا الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وليس لنا في غير الله حاجة ولا مذهب.

## المبحث الأول: الإمام الباقلاني ومذهبه الاعتقادي.

لا أكون مبالغا حينما أقول، إن الإمام القاضي الباقلاني ـ رحمه الله ـ من الأئمة الذين بلغت شهرتهم الآفاق، ولو عزمت على الاستغراق في ترجمته لضاق النطاق، ولكن حسبي أني أشير في أسطر معدودة إلى مقتطفات من سيرته، وأتوسع نوعا ما في تقرير عقيدته، لأن المقام يفتقر أكثر للثاني دون الأول، على أن أشير في الهامش لمصادر سيرته التي عليها المعوَّل.

### المطلب الأول: الإمام الباقلاني في أسطر

هو الإمام الكبير والمتكلم المنقطع النظير، شيخ السُّنّة ولسان الأمة، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني، ولد بالبصرة عام 338 هجرية وتوفي سنة 403 هجرية، رحل إلى بغداد لطلب العلم ونشره، وكان ـ رحمه الله ـ أعجوبة زمانه، منظِّرا للإسلام ومذهب أهل السنة، ومناظرا لأهل الأهواء وأصحاب الديانات الأخرى، حافظا متقنا للعلوم، قال عنه أبو بكر الخوارزمي: كل مصنِّف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس إلى تصانيفه، سوى القاضي أبي بكر، فإن صدره يحوي علمه وعلم الناس[2].

فكان ـ رحمه الله ـ موسوعة في كل العلوم، وإليه الفضل في تأسيس علم "الانتصار للقرآن"، ومن مصنفاته " إعجاز القرآن" و "تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل" و "التقريب والإرشاد في أصول الفقه" و "هداية المسترشدين"

و "كشف الأسرار وهتك الأستار" وغيرها، وما من عِلمٍ صنَّف فيه، إلا وأتى فيه بما لم يسبق إليه، رحمه الله وجزاه عن الإسلام وأهله خيرا.

**المطلب الثاني: مذهبه الاعتقادي**

قبل أن أذكر مذهب الإمام الباقلاني في الاعتقاد، لا بد أن أشير إلى أن شهرته ـ رحمه الله ـ فاقت كل انتماء، فهو العالم الإمام الذي يحظى بالقبول والتقدير عند الأمَّة عموما، وعند مذاهب أهل السُّنّة خصوصا، وذلك راجع ـ والله أعلم ـ إلى أن الهمَّ الذي كان يحمِله ويسخِّر فِكرَه وقلمه لخدمته هو همُّ الأمَّة عموما، ألا وهو الدفاع عن القرآن العظيم، وسنَّة النّبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو العالم بحَق.

يقول الحبيب بن طاهر مؤكِّدا هذه المكانة التي تقلَّدها الإمام الباقلاني بجهوده العلمية في الأمة، وبوجه الخصوص ما تعلق منها بمباحث العقيدة الإسلامية: ومرة أخرى، يُعاب على الباحثين في شخصية الباقلاني ودوره العلمي أنهم قصروا جهوده العلمية وإضافاته في المضمون والمنهج، في الإطار المذهبي الضيِّق، وهو المذهب الأشعري، ورأوه مجرَّد مطوِّرٍ للمنهج الكلامي فيه. في حين أنَّ ما عدُّوه ترتيبا للمقدمات التي تبنى عليه الأدلَّة، وتحريرا لمضامين المذهب ووضع قواعده الجدلية، كانت بالأساس منطلقات منهجية في الدفاع عن عقائد الإسلام، ونقد العقائد المخالفة له، وعليها سار علماء أهل السنة في نقد الأديان كما أعملوها في نقد المذاهب...[3]

قلت: وهذا لا يعني أبدا أنني أقلِّل من شأن المذهبيَّة في الإسلام، فهي مسألة اتفق عليها علماؤنا سَلفًا وخَلفاً، و أوْلَوْها أهمِّيّة كبيرة في مسيرتهم العلمية، وإنما قُصارى ما في الأمر، أنَّني أردت التَّنبيه إلى أنَّ المذهبية لا تنافي أبدا سَعَة الأُفق، وشمولية النَّظر في قضايا الأمَّة، وهذا ما كان يتميَّز به ـ رحمه الله .. أما مذهب إمامنا الباقلاني، فقد كان أشعريا في مذهبه العقدي، وهذا ما أطبقت عليه كل التراجم التي كتبت عنه.

واشتهر بذلك بين علماء الأمة، قال الحافظ الذهبي: " وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضائق، فإنه من نظرائه، وقد أخذ علم النظر على أصحابه[4]. وقال عنه الخطيب البغدادي: " المتكلم على مذهب الأشعري "[5] ، وترجم له عبد الله معلم عبد في "البدور الزاهرة في طبقات الأشاعرة " [6] وأكثر من النقولات عن أئمة الإسلام الكبار التي تدل على أشعريته. بل كان هو نفسه ـ رحمه الله ـ يصرح بذلك فيقول متواضعا أمام جلالة إمام المذهب: "أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعري "[7]، وحسبك بذلك دليلا على ما قررناه.

ثم تصدر ـ رحمه الله ـ لتحرير قواعد وأصول المذهب الأشعري، حتى بلغ الغاية في ذلك، وعُدَّ من مؤسسي المذهب، يقول ابن خلدون ـ رحمه الله ـ مفصِّلا القول في ذلك، ومُبيِّنا عُمق أثر الإمام الباقلاني في تقعيد أصول المذهب: وكثُر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري، واقتفى طريقه من بعده تلاميذه كابن مجاهد وغيره، وأخذ عنهم

القاضي أبو بكر الباقلاني، فتصدَّر للإمامة في طريقتهم وهذَّبها، ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار، وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاء، وأن العرض لا يقوم بالعرض، وأنه لا يبقى زمانين، وأمثال ذلك مما تتوقف عليه أدلتهم، وجعل هذه القواعد تبعا للعقائد الإيمانية في وجوب اعتقادها لتوقُّف تلك الأدلة عليها، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول، وجملت هذه الطريقة وجاءت من أحسن الفنون النظرية والعلوم الدينية[8].

ثم إنَّ مما يؤكد ذلك ـ زيادة على ما ذكر ـ هو أسانيد الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ في علم الكلام، فإنه تتلمذ على يدِ أئمة المذهب الأشعري ومنهم من كان من تلاميذ الإمام أبي الحسن ـ رضي الله عنه ـ، ومن أبرزهم:

- الإمام أبو الحسن الباهلي، صاحب إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري، ومن تلاميذه الذين تخرجوا على يديه: إبو إسحاق الأسفراييني وبن فورك والباقلاني[9].
- الإمام محمد بن أحمد بن مجاهد الطائي المتكلم، صاحب أبي الحسن الأشعري[10].
- الإمام عبد الله بن أبي زيد القيرواني، الإمام الفقيه، الملقب بمالك الصغير، انتهت إليه رئاسة المالكية في زمانه، وقد تفقّه الإمام الباقلاني على يديه[11].

وكذلك تلاميذه من أئمة المذهب الأشعري ـ رحمهم الله ـ الذين ترك فيهم أثرا من بعده، ومنهم:

- الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ـ رحمه الله ـ.
- القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي، إمام المالكية في العراق، صاحب التصانيف.[12]
- الإمام أبو ذر عبد بن أحمد الهروي، الحافظ الفقيه المالكي، كان من أئمة زمانه ـ رحمه الله ـ. قيل له من أين تمذهبت بمذهب مالك ورأي الأشعري مع أنك هروي؟ فقال: قدمت بغداد وكنت ماشياً مع الدارقطني فلقينا أبو بكر بن الطيب فلزمه الدارقطني بعد ما قبّل وجهه وعينه، فلما افترقا قلت مَن هذا؟ قال: هذا إمام المسلمين والذاب عن الدين القاضي أبو بكر، فمن ذلك الوقت تردَّدت عليه وتمذهبت بمذهبه[13].
  وغير هؤلاء الأئمة كثير، ممن أخذ عنهم الإمام ـ رحمه الله ـ وأخذوا عنه في ذلك العصر.

## المبحث الثاني: التفسير بالمنقول والمعقول

إن قضايا الاعتقاد من أهم القضايا التي تناولها القرآن الكريم وأقام الحجة على المخالفين فيها، وقد رسم القرآن الكريم المنهج السليم الذي من خلاله يمكن لطالب الحق أن يتوصل إليه، فالنقل والعقل هما ركيزتا هذا المنهج القرآني، ومن دونهما لا يمكن التوصل للحق، وقد أتت الكثير من الآيات التي تنص على هذا المنهج بشكل إجمالي، منها قوله تعالى يحكي على لسان أهل النار قولهم: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [ الملك 11 ]، فإن تحسُّرهم على عدم السير وفق هذا المنهج، دليل على أنه الحَقّ، وهو المنهج النقلي العقلي، خاصة فيما يتعلق بالعقائد، يقول الإمام الفخر الرازي ـ رحمه الله ـ: والمعنى لو كنا نسمع الإنذار سماع من كان طالبا للحق أو نعقله عقل من كان متأملا متفكرا لما كنا من أصحاب السعير، وقيل: إنما جمع بين السمع والعقل، لأن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل..[14] قلت: هذا من حيث الإجمال.

أما من حيث التفصيل، فقد وردت الكثير من الأدلَّة العقلية في القرآن، وقد أشار الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ إليها، فمن ذلك قوله: وكذلك الخليل عليه السلام، إنما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها وانتقالها من حالة إلى حالة، لأنه لما رأى الكوكب ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ ﴾ [ الأنعام 77 ] إلى آخر الآيات، فعلم أنّ هذه لما تغيرت وانتقلت من حال إلى حال دلَّت على أنها محدثة مفطورة مخلوقة، وأن لها خالقا، فقال عند ذلك: ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْاَرْضَ ﴾ [ الأنعام 80 ].[15]

وقد سار الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ في كتابه الإنصاف على هذا المنهج القرآني الرَّشيد، فإنَّنا نجده في أغلب مسائله، يكثر من الأدلة النقليه، ثم يردفها بالأدلة العقلية الداعمة لما دلَّت عليه من القطعيات التي لا تقبل الشك.

**المطلب الأول: التفسير بالمنقول ( الأثر )**

لا شك أنَّ من أولى ما يفسر به القرآن الكريم وتبيَّن به معانيه، سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد القرآن نفسه، فهو صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بمراد الله في كتابه، وأقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله كلها تصدُر عن كتاب الله تعالى، وهذا المنهج المتفق عليه بين المسلمين، اعتمده الإمام الباقلاني في تفسير آيات الصفات.

من أمثلة ذلك أنَّه قال ـ رحمه الله ـ في حديثه عن صفة الكلام، مبيّنا أنَّ كلام الله تعالى ليس بمخلوق: ويجب أن يعلم أن الله تعالى متكلِّم، وأن كلامه غير مخلوق ولا مُحدَث، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ﴾ [ البقرة 251 ]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسِيٰ تَكْلِيماًۖ ﴾ [ النساء 163 ]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ [ هود 118 ]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "فضْل كلام الله على كلام الخلق، كفضل الخالق على المخلوق"، ولا يتصف ببداية ولا نهاية، لأنَّه صلى الله عليه وسلم كان يعوِّذ الحسن والحسين فيقول: "أعيذكما بكلمات الله التامة العامة"، ومحال أن يُعوَّذ مخلوق بمخلوق، فثبت أنه عوَّذ مخلوقا بغير مخلوق، إلى غير ذلك من الآيات والأخبار.[16]

قلت: ، صنيع الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآيات، يدلُّ على عمق فهمه لنصوص السنة المشرفة، فانظر إليه كيف يستدل بتصرفات نبويَّة عمليَّة على بيَان المعنى الصحيح لآيات في باب الصِّفات الإلهية !، فهذا ربط عجيب بين مسلكين متباينين، ولعله يُعَدُّ من إبداعات الإمام الباقلاني الدالَّة على قوة نظره في مجال التفسير.

ومن أمثلة تفسيره بالمنقول أيضا، تفسيره لآيات الصِّفات الإلهية بالأحاديث القُدُسيَّة، والتي تدل على معاني ربما لا تظهر في النَّص القرآني إلا بعد إعمال فكر فيه، من ذلك قوله في صفة الإرادة: ويجب أن يعلم أن الله مريد على الحقيقة لجميع الحوادِث والمرادات، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُۖ ﴾ [ هود 107 ]، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أُللَّهُ بِكُمُ اُلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ اُلْعُسْرَۖ وَلِتُكْمِلُواْ اُلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ أُللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدِيٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَۖ ﴾ [ البقرة 184 ]، وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ اُلْاخِرَةَ ﴾ [ الأنفال 68 ]، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أُللَّهُ أَنْ يُّخَفِّفَ عَنكُمْۖ ﴾ [ النساء 28 ]، وقد قيل في بعض الآثار: إنه تعالى يقول: يا ابن آدم تريد وأريد، ولا يكون إلا ما أريد.[17]

فالحديث القدسي هنا، أضاف معنى زائدا على ظواهر الآيات القرآنية في باب صفة الإرادة، وهو أن الإرادة الإلهية نافذة في الخلق، حتى لو أرادوا خلافها، فتأمَّل ذلك.

**المطلب الثاني: التفسير بالمعقول**

هذا المنهج في التفسير ـ كما ذكرنا ـ قد أكثر منه الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ في آيات الصفات وغيرها، وهو خير منهج يجعل القارئ مطمئن النَّفس لما يتلقاه من عقائد وفق منهج أهل الحقّ، وهي طريقة تتميز بالجانب القطعي الذي لا يقبل التشكيك، ومن أمثلة ذلك قوله:

وجوب العلم بوحدانية صانع العالم، والدليل على أن صانع العالم على ما قرّرناه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ اِلَّا أُللَّهُ لَفَسَدَتَاۖ ﴾ [ الأنبياء 22 ]، والدليل المعقول مُستَنبَط من هذا النص المنقول، فإنَّا نرى الأمور تجري على نمط واحد في الَّسماوات والأرض، وما فيهما من شمس وقمر وغير ذلك، ولو كانا اثنين أو أكثر فلا بدّ أن يجري خلاف أو تغيّر من أحدهما على الآخر، وقد بينه سبحانه فقال: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذاً لَّابْتَغَوِاْ اِلَيٰ ذِي اِلْعَرْشِ سَبِيلاًۖ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَيٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراًۖ ﴾ [ الإسراء 42 – 43 ].[18]

قلت: وهذا الذي ذكره الإمام هنا في تفسير هذه الآية، هو ما يسمى عند السادة الأشاعرة ـ رضي الله عنهم ـ بدليل التمانع على وحدانية الله تعالى، وتفصيله كما قال الإمام ابن رشد ـ رحمه الله ـ: فمن أدلة العقول على أنه واحد أنهما لو كانا اثنين فأكثر لجاز أن يختلفا، وإذا اختلفا لم يخل ذلك من ثلاثة أقسام لا رابع لها. أحدها أن يتم مرادهما جميعا، والثاني أن لا يتم مرادهما جميعا، والثالث أن يتم مراد أحدهما ولا يتم مراد الآخر. فيستحيل منها وجهان وهو أن يتم مرادهما جميعا، وأن لا يتم مراد واحد منهما؛ لأنه لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته فتمت إرادتهما جميعا لكان الجسم حيا ميتا في حال واحد، ولو لم تتم إرادة واحد منهما لكان الجسم لا حيا ولا ميتا في

حال واحد، وهذا من المستحيل في العقل، فلم يبق إلا أن يتم مراد أحدهما ولا يتم مراد الآخر. فالذي تتم إرادته هو الله القادر، والذي لم تتم إرادته ليس بإله لأنه عاجز مغلوب. وهذا الدليل يسمونه دليل التمانع...[19]

**المبحث الثالث: التفسير عن طريق الاستشهاد والاستنباط**

وقد تقرَّر عند أئمة هذا الشأن أن الاستشهاد والاستنباط عينُ التَّفسير، إذا كان يدلُّ على معاني صحيحة تحتملها الآية القرآنية، وقد أكثر الإمام الباقلاني من هذه المنهجيَّة في بيان معاني آيات الصفات، حيث نجِدُه يذكر بعض المعاني والفوائد العقائدية المتعلقة بالصِّفات الإلهية، ثم يستَدِلّ عليها ببعض الآيات القرآنية الدَّالة عليها، سواء كان ذلك بوجه ظاهر أو خفي،

**المطلب الأول: التفسير بأسلوب الاستشهاد بالنص القرآني**

ومن أمثلة ذلك قوله: بل صفات ذاته قديمة أزليَّة، لم يزَل موصوفا بها، ولا يزال كذلك، لا تشبّه بصفات المخلوقين، ولا يقال إنها هو ولا غيره، ولا صفاته متغايرة في أنفسها. والدليل على هذه الجملة: قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [ الشورى 9 ] وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُؤاً اَحَدٌ ﴾ [ الإخلاص 3-4]، فكما أنّ ذاته لا تشبه ذوات الخلق، فكذلك علمه لا يشبه علم الخلق، ولا يوصف بصفة علم الخلق، وكذلك قدرته وإرادته لا تشبه قدرة الخلق ولا إرادتهم، ولا يوصف شيء من صفاته بصفات الخلق، فاعلم ذلك وتحقَّقه تُوفَّق للصواب، بمشيئة الله تعالى.[20]

وقال أيضا: ويجب أن يعلم أنه سميع لجميع المسموعات، بصير لجميع المبصرات. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اَلسَّمِيعُ اُلْبَصِيرُ ﴾ [ الشورى 11 ]، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوِيٰهُم بَلِيٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [ الزخرف 80 ]، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اَللَّهُ قَوْلَ اَلتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيَ إِلَي اَللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اَللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [ المجادلة 1 ]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اَللَّهَ يَرِيٰ ﴾ [ العلق 14 ].

**المطلب الثاني: التفسير بأسلوب الاستنباط من النص القرآني**

ومن استنباطاته ـ رحمه الله ـ من آيات القرآن الكريم في مجال الصِّفات الإلهية، ما قرَّره في مسألة الرَّد على القائلين بخلق القُرآن، حيث يقول: فأمّا الدّليل على كون كلامه قديما غير مخلوق: فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ اُلْخَلْقُ وَالَامْرُ ﴾ [ الأعراف 53 ]، فصل بين الخلق والأمر، فدلّ على أن الأمر غير مخلوق، لأن كلامه أمر ونهي وخبر... إلى أن قال: ويدُلّ عليه أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ اِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [ النحل 40 ]، ولو أن كلامه مخلوق لاحتاج في خلقه إلى قول يقول به "كن"، واحتاج القول إلى قول ثالث، والثالث إلى رابع، إلى ما لا نهاية له، وهذا محال باطل، فثبت أن القول الذي تكون به الأشياء المخلوقة غير مخلوق، وهو كلامه القديم.[21]

فانظر إليه ـ رحمه الله ـ كيف استنبط من الآية أنّ كلام الله غير مخلوق، وأعمل فيها نظرية التسلسل ليبطل قول القائلين بالخلق.

**المبحث الثالث: التفسير بمنهج التأويل والتفويض.**

وكلاهما منهج معتمد عند أهل السنة والجماعة، يقول الإمام أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري الأشعري (وأصل هذا اختلافهم في الوقف في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَاوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَالرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾[آل عمران 7] فالأكثرون على الوقف على الجلالة، والأقلون على الوقف على (العلم) ، ومن أجلهم ابن عباس فكان يقف عليه، ويقول حملا للناس على سؤاله، والأخذ عنه: أنا من الراسخين في العلم، على أنه يمكن رفع الخلاف بأن المتشابه على قسمين: ما لا يقبل تأويلا قريبا فهذا محمل الوقف الأول، وما يقبله فهذا محمل الثاني، ومن ثم اختار بعض المحققين قبول التأويل إن قرب من اللفظ، واحتمله وضعا، ورده إن بعد عنه، والحاصل أن السلف، والخلف مؤولون لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره، ولكن تأويل السلف إجمالي لتفويضهم إلى الله تعالى، وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين[22]. وهنا نجد أن الإمام الباقلاني لا يقتصر على واحد منهما، بل يؤول في بعض الصفات الخبرية، ويفوض في بعضها، وبيان ذلك:

**المطلب الأول: التفسير بمنهج التأويل**

حقيقة التأويل هو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى آخر يحتمله، إذا كان المعنى الظاهر متشابها، ويدل على ما لا يليق بالله تعالى، وهذا واضح في كلامه، فمن ذلك قوله:

ويجب أن يعلم أن الله سبحانه باق، ومعنى ذلك أنه دائم الوجود، والدليل عليه قوله: ﴿وَيَبْقِيٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [ الرحمان 27 ]، يعني: ذات ربك. وأيضا قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ اِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [ القصص 88 ]، يعني: ذاته.[23]

فإننا نلاحظ أن سياق الكلام متعلق بصفة البقاء، ومع ذلك فإن الإمام الباقلاني أوّل صفة "الوجه" حتى لا يتبادر إلى ذهن القارئ معنى لا يليق بالله سبحانه.

وقال أيضا: فإن قيل : قد أثبتم أنّه حيّ، عالم قادر، سميع بصير متكلم، أفتقولون إنّه يغضب ويرضى ويحبّ ويبغض ويوالي، ويعادي، وأنه موصوف بذلك؟ قيل لهم : أجل ، ومعنى وصفه بذلك : أن غضبه على من غضب عليه، ورضاه عمّن رضي عنه، وحبّه لمن أحبّ، وبغضه لمن أبغض، وموالاته لمن والى، وعداوته لمن عادى، **أن المراد بجميع ذلك إرادته إثابة من رضي عنه وأحبّه وتولاه وعقوبة من غضب عليه وأبغضه وعاداه لا غير**. ويدلّ على هذه الجملة أنّه يوصف بالغضب قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُومِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء 93]، وقوله تعالى: ﴿وَالْخَمِسَةُ أَنْ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّدِقِينَ ﴾ [النور 9]، إلى غير ذلك من الآيات. ويدل على أنه يوصف بالحب قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِرِينَ) [البقرة 222] ، وقوله : ( يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة 54]، وقوله: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران 134] إلى غير ذلك . ويدل على أنه يوالي قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُومِنِينَ ﴾ [آل عمران 68] وقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [المائدة 55] ، وقوله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى: "من آذى لي ولياً"، إلى غير ذلك من الآيات والأخبار . ويدل

على أنه يعادي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَفِرِينَ﴾ [البقرة 98]، وقوله: ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الممتحنة 1 ]، إلى غير ذلك من الآيات والآثار. ويدل أنه يبغض قوله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة يبغضهم الله تعالى : شيخ زان؛ وبائع حلاف؛ وفقير مختال.[24]

قلت: إن الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ وجَّه الآيات القرآنية التي أضافت لله تعالى الحُبّ والبغض والرِّضى والسَّخط والمولاة والمعاداة، بأنّ المراد منها إرادة الثواب أو العقاب بحسب دلالتها على ذلك وهذا هو "التأويل"، والسَّبب في ذلك أن القول في تفسيرها بما دلَّت عليه ظواهرها، فيه نِسبَة ما لا يليق بالله تعالى له من صفات الحوادث والمخلوقات، وهذا مستحيل في حق الله تعالى.

**المطلب الثاني: التفسير بمنهج التفويض مع اعتقاد التنزيه**

ذكرنا سابقا أن الإمام الباقلاني اعتمد في تفسير بعض آيات الصفات على منهج بالتأويل، لكننا نجده في بعض آيات الصفات الخبرية يعتمد منهج التفويض مع التنزيه في تفسيرها، ومن ذلك قوله:

وأخبر أنّه ذو الوجه الباقي بعد تقضّي الماضيات، كما قال : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [ القصص 88 ]، وقال: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ والإكرام ﴾ [ الرحمن 27 ] ؛ واليدين اللتين نطق بإثباتهما له القرآن، في قوله : ﴿بَلِ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [ المائدة 64 ] ، وقوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ ص 75 ] ، وأنهما ليستا بجارحتين ولا ذوي صورة وهيئة، والعينين اللتين أفصح بإثباتهما من صفاته القرآن وتواترت بذلك أخبار الرسول عليه السلام، فقال عز وجل : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِ ﴾ [ طه 39 ]، و ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [ القمر 14 ]، وأن عينه ليست بحاسّة من الحواس، ولا تشبه الجوارح والأجناس[25].

وقال في تنزيه الله تعالى عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بصفات المخلوقات: ويجب أن يعلم أن كل ما يدلّ على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه. فمن ذلك أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول، والانتقال، ولا القيام، والقعود. لقوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ [ الشورى 9 ] وقوله تعالى: ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [ الإخلاص 4 ]، ولأن هذه الصّفات تدلّ على الحدوث، والله تعالى يتقدّس عن ذلك، فإن قيل: أليس قد قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [ طه 4 ]، قلنا: بلى، قد قال ذلك، ونحن نطلق ذلك وأمثاله على ما جاء في الكتاب والسنّة، لكن ننفي عنه أمارة الحدوث، ونقول: استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول إن العرش له قرار، ولا مكان، لأن الله تعالى كان ولا مكان، فلما خلق المكان لم يتغير عما كان.[26]

قلت: من خلال ما ذكره الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ في تفسير آية الاستواء، نستنتج أمرين مهمّين ذكرهما في سياق بيانه لمعنى الآية:

**الأول**: أنَّ أهل السُّنّة يؤمنون بما جاء في كتاب الله من هذه الصِّفات الخبرية، ولا يجادلون في ذلك.

**الثاني**: أنهم يتعاملون مع هذا الضّرب من النُّصوص على أنه من المتشابهات، فيؤمنون به مع جزمهم بانتفاء ما يتبادر منه للأذهان من لوازم المخلوقات، وهذا حق ظاهر من كلام الإمام ـ رحمه الله ـ، وهو عين ما أمر الله تعالى به في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ آل عمران 7 ].

**المبحث الرابع: التفسير عن طريق اعتماد أقوال العارفين من أهل التحقيق**

من المعلوم أنَّ أهل التحقيق من السَّادة الصوفية العارفين بالله، تنكشف لهم من المعاني العظيمة في كتاب الله ما يخفى على غيرهم، وهذا من العلم الذي اختصهم الله تعالى به نتيجة تقواهم لله وتزكيتهم لأنفسهم وبلوغهم المقامات العالية في السير إلى الله، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ [ البقرة 281 ]، وقد كان من منهج الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ أنّه أكثر العناية بأقوالهم ـ رضي الله عنهم ـ وأولاها اهتماما كبيرا في بيان بعض المعاني الدقيقة جدا، والتي تخفى على غيرهم في باب صفات الباري سبحانه وتعالى، ومن أمثلة ذلك قوله: ولا يجوز أن يكون يشبه العالم في الصورة؛ لأنّ حقيقة الصورة هي الجسم المؤلف، والتأليف لا يكون إلّا من شيئين فصاعداً؛ ولأنه لو كان صورة لاحتاج إلى مصوّر صوّره؛ لأن الصُّورة لا تكون إلا من مصوّر على ما قدمنا بيانه، وقد بين ذلك تعالى بأحسن بيان، فقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُ﴾ [النحل 17] ، وقد سئل بعض أهل التحقيق عن التوحيد ما هو ؟ فقال : هو أن تعلم أنه بايَنَهم بقِدَمِه كما بايَنُوه بحُدُوثِهم.

وقال الجنيد رضي الله عنه: التوحيد إفراز القِدم عن الحدوث، فأحكموا أصول العقائد بواضح الدليل ولايح الشواهد. وقال أبو محمد الحريري رضي الله عنه: من لم يقف على علم التوحيد يشاهده من شواهده زلت به قدم الغرور في مهواة التلف.

وقال الجنيد أوّل ما يحتاج إليه المكلّف من عقد الحكمة أن يعرف الصانع من المصنوع فيعرف صفة الخالق من المخلوق، وصفة القديم من المحدَث.

وسئل أبو بكر الزاهد رضي الله عنه عن المعرفة ما هي ؟ فقال: المعرفة اسم ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك عن التعطيل والتشبيه. وقيل لأبي الحسن البوشنجي: ما التوحيد ؟ فقال : أن تعلم أنه غير مشبه بالذوات ولا بنفي الصفات[27] .

وقال أيضا: وقد سئل الشّبلي عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [ طه 4 ]، فقال: الرحمن لم يزل ولا يزول، والعرش محدث، والعرش بالرحمن استوى. وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: من زعم أن الله تعالى في شيء، أو من شيء، أو على شيء، فقد أشرك، لأنه لو كان على شيء لكان محمولا، ولو كان في شيء لكان محصورا، ولو كان من شيء لكان محدثا، والله يتعالى عن جميع ذلك.[28]

قلت: فانظر إليه كيف يوظِّف الكلام العِرفاني، في بيان المعنى العقائدي الصحيح للنص القرآني، وهذا من حسن فقهه ـ رحمه الله ـ فإنّ فصل المعارف الإيمانية والإحسانية عن بعضها، قد جرَّ الكثير إلى الوقوع في الضلال والانحراف عن صراط الله المستقيم.

**المبحث الخامس: التفسير الجدلي**

وهذا النّوع من التفسير كثير عند الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ ولعلّه أوّل من أبدَعَه، وطريقته أنه يأتي بالآية القرآنية مصحوبة بتفسير أهل الضلال لها، ويبين وجه احتجاجهم بها على باطلهم، ثم يردُّ عليهم بتفسيرها على الوجه الصحيح، ويفنِّد قولهم فيها، وهذه الطريقة يستعملها ـ رحمه الله ـ في الرد على أهل الإلحاد الطاعنين في القرآن، كما يستعملها في الردّ على أهل الأهواء من الطوائف الإسلامية، ومن أمثلة ذلك قوله في الرد على القائلين بخلق القرآن وهي مسألة متعلقة بصفة قديمة من صفات الله تعالى وهي صفة الكلام. فقال: فإن احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ [ النحل 101 ]، وقالوا: ما يغير ويبدل فهو مخلوق لا محالة، قلنا: هذا جهل منكم أيضا، وذلك أن التَّبديل والنَّسخ إنما يكون ويُتَصوَّر في الرَّسم من خطّ أو تلاوة، أو في حكم، فيكون تقدير الكلام: وإذا بدَّلنا حكم آية أو تلاوة آية، دون المتلوِّ القديم الذي لا يتصور عليه تبديل ولا تغيير، وقد بين ذلك سبحانه وتعالى وأخبر أن كلامه القدير لا يغيّر ولا يبدّل.[29]

**خاتمة :**

إن جهود الإمام الباقلاني في خدمة كتاب الله تعالى، تعتبر ثروة علمية لا تزال الأمة بحاجة إليها إلى الآن، ولا يمكن بحال أن تستغني عنها، ولو أن المتصدرين للدفاع عن عقائد أهل السنَّة ومقدَّسات المسلمين – وفي مقدمتها كتاب الله تعالى – استعانوا على ذلك بعلم هذا الإمام، لكفاهم ذلك في دحض كثير من الشبهات الواهية، والتي فندها الإمام الباقلاني منذ ذلك الزمن.

ومن تلك الجهود، اجتهاداته في تفسير كثير من آيات الكتاب العزيز، يلاحِظ ذلك من عنده أدنى اطلاع على مصنفاته، فضلا عمن يدمن النظر فيها.

وقد تناولنا بالبحث في هذه الورقات المعدودات، جانبا خاصا من جهوده في التفسير، ألا وهو ما يتعلق بآيات الصفات الإلهية في كتابه النَّفيس " الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به"، على اعتبار أنه كتاب صنَّفه ـ رحمه الله ـ للمبتدئين في هذا العلم الجليل، ولكنّه حوى من النفائس ما تفتقده كثير من كتب هذا الفن، وحسبك دليلا على ذلك أنه من وضع الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ..

ومن خلال هذه الدراسة الموجزة، يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

- الإمام الباقلاني ـ رحمه الله ـ إمام كبير من أئمة أهل السنة، وما تركه من تراث علميّ، في نصرة القرآن وتوضيح عقائد الإسلام، يتسع لنصرة الإسلام عموما مقابل الديانات الأخرى.

- يعتبر كتاب "الإنصاف" مرجعا مهما في بيان عقائد أهل السُّنة التي كان عليها أئمة الإسلام في القرون الأولى.
- جهوده في تفسير كلام الله تعالى كثيرة ومبثوثة في مصنَّفاته، حتَّى وإن كان لم يصنِّف في التفسير بشكل مُستَقِل، إلا أنَّه يُعتبر من أئِمَّته البارِعين فيه.
- يعتبر منهج الإمام الباقلاني في التَّفسير موافقا في الجملة لغيره من علماء التّفسير، ومستقلا في بعض تفاصيله، كتركيزه على الجانب العقلي في بيان العقائد، والربط بين ذلك وبين النَّص الشرعي، وكثيرا ما نجده يستنبط تلك الأدلة العقلية من النصوص القرآنية، ويبيّن معاني الآيات القرآنية في سياق الرد على المخالفين ومناقشتهم في شبهاتهم التي يوردونها على النَّصّ القرآني، فليس هو مجرد مقلِّد ولا مجرد ناقل لكلام من قبله، بل إن جهوده الإبداعية في ذلك ظاهرة لا تخفى.
- منهج الإمام الباقلاني في تفسير آيات الصفات الإلهية منهج قرآنيٌّ سنيٌّ عقلانيٌّ سديد، نصر به قطعيات القرآن، ورد متشابهه إلى محكمِه، ونزَّه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق به.
- استشهاده في تفسير آيات الصفات الإلهية بكلام أهل التحقيق كما يُسمِّيهم، وهم أئمة التصوف العارفين بالله، يدل على اهتمامه بهذا المسلك العظيم الذي يمثّل روح عقيدة الإسلام وجوهرها، ورؤيته للعلاقة التكاملية بين مسلَكَي الاعتقاد والتَّصوّف..

وأختم القول قائلا: إضافة إلى كون هذه الدِّراسة بمثابة خدمة أقدِّمها كعربون مودّةٍ لإمامنا أبي بكر الباقلاني . رضي الله عنه . لأظهر بها جانبا يسيرا مما خفي من جهوده المباركة في مجال تفسير القرآن العظيم، لعلها – أيضا – أن تنال الشرف بأن تكون حلقة ضمن سلسلة من الدراسات التي تُسهِم في الكشف عن عقائد أئِمة الإسلام . رضي الله عنهم . وجهودهم في خدمته، حتى تكون نبراسا للحائرين، وسندا للغيورين، في زمن اختلطت فيه المفاهيم، حتى صرنا نرى فيه من لا يعرف لهؤلاء العظماء قدرهم، ويفتري عليهم من لم يحسن فهم كلامهم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

**المراجع:**


1- محمد بن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424 هـ - 2003 م

2- محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، ط دار الحديث- القاهرة، 1427هـ-2006م.

3- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

4- القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: سعيد أحمد اعراب، مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب، ط1.

5- عبد الله معلم عبد، البدور الزاهرة في طبقات الأشاعرة، ط1، رمضان 1429/20 هـ.

6- عبد الرحمن بن بن خلدون، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1 . 1401 – 1981.

7- أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: الحبيب بن طاهر،دار مكتبة المعارف للطباعة والنشر . بيروت ، لبنان . ط1، 1432هـ، 2011م.

8- أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 - ١٤٢٠ هـ.

9- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي - بيروت ط1، 1422هـ - 2002 م.

10- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المقدمات الممهدات، تحقيق: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط 1 ، 1408هـ - 1988 م.

**الهوامش:**

---

[1] هذا موضوع أطروحتي لشهادة الدكتوراه، " جهود الإمام الباقلاني في التفسير . جمعا ودراسة . " يسر الله إتمامها.

[2] أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ت بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي - بيروت ط1، 1422هـ - 2002 م ج 3 ص 364.

[3] الحبيب بن طاهر، مقدمة تحقيق كتاب "الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به" للباقلاني، دار مكتبة المعارف للطباعة والنشر . بيروت لبنان . ط1، 1432 – 2011، ص 29.

[4] محمد بن أحمد الذهبي، المصدر السابق ، ج13 ص 11.

[5] أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج3، ص364.

[6] عبد الله معلم عبد، البدور الزاهرة في طبقات الأشاعرة، ط1، رمضان 1429/20 هـ، ص 130.

[7] محمد الذهبي، المصدر السابق، ج 11 ص 392.

[8] عبد الرحمن بن بن خلدون، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1 . 1401 – 1981، (589/1).

[9] محمد الذهبي، المصدر السابق، ج 12 ، ص 322.

[10] القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ت: سعيد أحمد اعراب، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ط1،ج6، ص 196.

[11] محمد بن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ت عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1424 هـ - 2003 م، ج1، ص138.

[12] القاضي عياض، المصدر السابق، ج7، ص 221.

[13] محمد بن سالم مخلوف، نفس المصدر.

[14] أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 - ١٤٢٠ هـ، (588/30).

[15] أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ت: الحبيب بن طاهر،دار مكتبة المعارف للطباعة والنشر . بيروت ، لبنان . ط1، 1432هـ، 2011م، ص 138.

[16] المصدر السابق، ص 145.

[17] المصدر السابق، ص 144.

[18] المصدر السابق، ص 141-142.

[19] أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المقدمات الممهدات، ت: الدكتور محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط 1 ، 1408هـ - 1988 م، (17/1-18).

[20] أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، المصدر السابق، ص 146.

[21] المصدر السابق، ص 187.

[22] أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط1، 1422 هـ – 2002 م، (162/1).

[23] أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، المصدر السابق، ص 145.

[24] المصدر السابق، ص 147 – 148، وتفسيره هنا يعتمد فيه منهج التأويل أيضا.

[25] أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، المصدر السابق، ص 132.

[26] المصدر السابق، ص 149-150.

[27] المصدر السابق، ص 140 - 141.

[28] المصدر السابق، ص 150.

[29] المصدر السابق، ص 192 – 193.